صديق عزيز

طول فارع، أناقة مفرطة.

أول دخوله المقهى رفع قبعته، خلع قفازيه، أسرع إليه النادل، تناول منه معطفه، علقه على مشجب وراء الباب، الآن اكتشفت أنه أتى بالحركات نفسها أول تعرفي إليه قبل خمس سنوات، كنا في السنة الأولى بعد التقاعد.

ارتحت إلى صداقته، ومن الصعب أن تؤسس علاقة في هذا العمر المتقدم. لقاءاتنا كلها كانت في المقهى، حول فنجان قهوة نلتقي كل يوم مساء، نحتسي القهوة معاً، نتحدث في أمور مختلفة، الأسعار، أحوال الطقس، الأولاد، السفر، الصحافة، لا جديد.

فجأة اكتشفت اليوم أنه يأتي دائماً في حذاء جديد، وعقدة عنق جديدة، وقميص جديد، وبزة جديدة، دائماً حليق الذقن، مرجل الشعر. اليوم اكتشفت أنه يتكلم بهدوء، وصوت خافت، حتى يضطر جليسه إلى الميل إليه، ليستمع إلى حديثه. أعرف أنه يعاني من الضغط، وأنه لا يستطيع الاستغناء عن فنجان قهوة في الصباح، وفنجان قهوة في

المساء.أحياناً كان ينضم إلينا في جلستنا بالمقهى بعض الأصدقاء، أصدقائي أو أصدقائه، لا فرق، فكلنا من المتقاعدين، ولا نملك ما نملأ به الفراغ. كثيراً ما كنا نطرح بعض الأمور، كنا نتفق في وجهات النظر، وكنا نختلف. اليوم فقط اكتشفت فيه كل الخصال التي لم أكن أعرفها من قبل.

كنا أربعة، أو خمسة حول المائدة، نحتسي القهوة، لا أعرف كيف ذكر أحد الحاضرين الحداثة في الشعر، وأبديت وجهة نظري، وهي من غير لبس الانتصار للحداثة، وانبرى لي مدحضاً ومخطئاً، بل ربط الحداثة بمصادر مشبوهة، وكاد يصرح بأنها خيانة.

أول مرة أراه على هذه الحالة من الانفعال، وقد احمرت أذناه وتورد وجهه. لم أرد بشيء. أمام باب المقهى افترقنا، وذهب كل في طريق.

قبل يومين ذكرنا الموضوع نفسه، وتحدثنا فيه، كنا متفقين، كان أكثر مني انتصاراً للحداثة، ولكن كنا وحدنا، ما الذي غيره اليوم؟ لا أعرف.

أول وصولي إلى البيت رن الهاتف، رفعت السماعة، وإذا صوته يأتيني عبر الهاتف:

- لا تظن أني ضد رأيك، أنا معك، أنا لست ضد الحداثة، ولا ضدك، ولكن فقط أردت أن أخفف من حماستك، حتى لا تظهر بمظهر المتطرف، كان موقفي خوفاً عليك، أنت صديق عزيز.